الفصل السادس والستون

قمْ بالأمر، أو دعْه

سواء أكنتَ تعتقد أن باستطاعتك فعل شيءٍ ما، أم كنت تعتقد أنك لا تستطيع فعله؛ فأنت على حق.

هنري فورد

المحاولات تكلّف وقتاً. كما قال يودا في حرب *النجوم*: "افعلْ، أو انفض يدك. فلا مجال للمحاولة". وكان محقّاً في قوله. وإن كنتَ لا تصدّقه، أرجو منك القيام بالتمرين التالي. ضعْ قلماً على الطاولة، ثم حاولْ رفعه. هل تمسك القلم بيدك الآن؟ إذاً، فأنت لم تؤدِّ المطلوب. المطلوب أن *تحاول* رفع القلم. غير أنك رفعت القلم، ولم *تحاول* رفعه. عندما نحاول شيئاً ما، فنحن لا ننفّذه. إذاً، جرّب التمرين مرة أخرى. ضعْ يدك على القلم، أمعنِ التفكير وتأوّهْ، ولكن دعِ القلم مكانه. رائع. هذه محاولة. إذاً تخلَّ عن المحاولات مستقبلاً، وبادرْ إلى الفعل.

ولكن ما الذي يجعل المحاولة عديمة الجاذبية على هذا النحو؟ جميعنا نعرف أشخاصاً يحاولون شيئاً ما مراراً وتكراراً، يبذلون جهوداً جنونية، لمجرد أن يصبحوا غير ما هم عليه. إذاً، بادرْ إلى الفعل. إما أن تُفلِح أو لا تُفلِح. إذا أفلحت، فهذا رائع! فقد أنجزت الأمر. ألم تُفلِح؟ ما الذي لم يسرْ على وجهه الصحيح؟ ما الذي تعلّمته من ذلك؟ وأرجو أن تتذكّر: لقد قلتُ إن عليك أن *تفعل* ذلك - لا أن *تحاول* ذلك. لقد قمتَ بشيءٍ ما، وإما أن تحقّق النتيجة المتوخّاة أو لا. أما إذا لم تقمْ بشيءٍ، فلن تحقّق أيّ نتيجة. هذه حقيقة واقعية. وكل شيءٍ آخر لا يدور إلاّ في رأسك. المحاولات ليست سوى وقت ضائع، وتؤدي بك إلى عدم السباحة مع تيار الحياة.

لم يُقصَد بالحياة يوماً كفاحاً. نعم، قد تكون مقترنة بكثيرٍ من العمل والواجبات، ولكننا نحن المسؤولون عن مشكلاتنا من حيث المبدأ. قد لا تستطيع تجنّب العمل، ولكنك تستطيع تجنّب المشكلات في كل الأحوال. لا شك في أنك تعرف الفارق بين العمل الذي يروق لك والعمل الذي يشقّ عليك. وعندما ينجلي شيء ما عن صعوباتٍ ومتاعب، ما العمل لتدبّر الأمر كله على نحو ألطف؟ ما الذي يمكن تبسيطه وتهوينه؟ هل يمكنك أتمتة المهمّة أو منهجتها، بحيث تسير مستقبلاً بسهولةٍ ويسر؟ هل تستطيع تفويض أحدهم بالأمر؟ لا تنكّدْ عيشك بغير موجب!

سوزان، صاحبة شركة، كانت تعاني من صعوباتٍ جمّة مع هذه الفكرة. في كل مرة أعطيها نصيحة في إطار التدريب، كانت تردّ: "سوف أحاول". بيد أنني لم أكن أكتفي بذلك. كنت أطلب منها إما الأخذ بالنصيحة أو رفضها، أو تقديم اقتراحٍ آخر. وقد عرفتْ سوزان أن قولها "سوف أحاول" لا يجرّدها إلاّ من الحافز، وأنه قول ينطوي على بذرة الهزيمة، حتى قبل أن تقوم بأيّ شيء أصلاً. فقبلت النصيحة وأخذتْ بها. وكان هذا أبسط بكثير من مجرد المحاولة. لا يكلّفك أخذ المبادرة أيّ مجهودٍ ذهني. ولا يغدو الأمر مُجهِداً إلاّ عندما *تحاول* فعل شيءٍ ما. حينما أريد الكتابة، أجلس وأكتب. قد يكون النصّ جيداً أحياناً، وأحياناً قد يكون ركيكاً، ولا بد من تنقيحه جذرياً. ولا يغدو الأمر وخيماً في الواقع إلاّ حينما أشغل فكري مراراً وتكراراً بالكتابة، من غير أن أكتب فعلاً. لا بد أنه سبق لك أن عشت هذا: تشغل فكرك مراراً وتكراراً بقضيةٍ ما، وعندما تنجز الأمر أخيراً، لا يكون بالرداءة التي تخيّلتها.